

التبيان في تفسير القرآن

(521) وانما تتبع المصالح، ولو تبعت الشهوات لكان كل واحد يقترح غير ما يقترحه الآخر فيؤدي إلى الفساد. قوله تعالى: (ومانع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث اﷻ بشرا رسولا (94) قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (95) قل كفى باﷻ شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خيرا بصيرا) (96) ثلاث آيات بلاخلاف. يقول اﷻ تعالى وماصرف الناس، يعنى المشركين الذين لم يؤمنوا، وانما أخبر عنه بالمنع مبالغة له في الصرف، لان المنع يستحيل معه الفعل، والصرف يمكن معه الفعل، لكنه لشدة صرفه شبه بالمنع. وقوله " أن يؤمنوا " اي ماصرفهم عن التصديق باﷻ ورسوله حين جاءهم الهدى، يعنى الحجج والبيانات، وطريق الحق إلا قولهم " أبعث اﷻ بشرا رسولا " فدخلت عليهم الشبهة في أنه لايجوز من اﷻ أن يبعث رسولا إلا من الملائكة، كمادخلت عليهم الشبهة في أن عبادتهم لا تصلح اﷻ، فوجهوها إلى الاصنام، فعظموا اﷻ تعالى بجهلم، بماليس فيه تعظيم، وهذا فاسد، لان تعظيم اﷻ إنما يكون بأن يشكر على نعمته بغاية الشكر ويحمد غاية الحمد، ويضاف اليه الحق دون الباطل، وهم عكسوا فأضافوا الباطل اليه وما يتعالى عن فعله أو إرادته. وإنما عدلوا عن الهدى إلى الضلال تقليدا لرؤسائهم. واعتقادا للجهل بالشبهة. فان قيل لم جاز ان يرسل اﷻ إلى النبي - وهو من البشر - ملكا ليس من جنسه؟ ولم يجر أن يرسل إلى غير النبي مثل ذلك؟ !